

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[537] للعبد في الحالة الأولى "سعة الرزق"، وتارةً يراها في الثانية، أي "الضيقة".
وصحيح أن العالم هو عالم الأسباب، فمن جدّ وجد، ومن سعى قاوم الصعاب ينلّ فائدة أكثر
ويربح عادةً، وأمّا أولئك الكسالى فلا ينالون إلا قليلاً... لكن هذه القاعدة في الوقت
ذاته ليست دائمية ولا كلية، إذ يتفق أن نرى أناساً جديرين وجادّين يركضون من هنا وهناك،
إلا أنّهم لا يصلون إلى نتيجة يبلغون هدفهم، وعلى العكس منهم قد نشاهد أناساً لا يسعون
ولا يجدّون وتتفتح عليهم أبواب الرزق من كل حذب وصوب. وهذه الإستثناءات كأنّها لبيان
أنّ الإنسان بالرغم من جميع ما جعَلَ للأسباب من تأثير، لا ينبغي أن يُنسى في عالم الأسباب،
ولا ينبغي للإنسان أن يغفل أن وراء هذا العالم يداً قوية أخرى تديره كيف شاءت! فأحياناً
– ووفق مشيئته – توصل جميع الأبواب بوجه الإنسان مهما سعى وجدّ في الأمر، وقد يرحم الإنسان
ويسرّ له الأمور إلى درجة أنه ما أن يخطو خطوة... وإذا الأبواب متفتحة أمامه! فما نرى
في حياتنا من هذه المفارقات، بالإضافة إلى أنّه يحدّ من الغرور المتولد من وفور
النعمة، واليأس الناشء من الفقر، فهو في الوقت ذاته دليل على أن وراء إرادتنا
ومشيئتنا يداً قوية أخرى "تسيّر أعمالنا". لذلك يقول القرآن في نهاية الآية: (إنّ في
ذلك لآية لقوم يؤمنون). وينقل بعض المفسّرين كلاماً بهذا المضمون وهو: سئل أحد العلماء:
ما الدليل على أنّ للعالم صانعاً واحداً؟ فقال هناك ثلاثة أدلة: "ذل اللبيب، وفقر
الأديب، وسقم الطبيب". (1) أجل إن وجود هذه المستثنيات والمفارقات دليل على أن الأمور
بيد قادر آخر، كما ورد في كلام الإمام علي(عليه السلام) أيضاً "عرفت أنّ سبحانه بفسخ
العزائم، _____ 1 – تفسير روح البيان، ج 7، ص 29، ذيل الآية محل
البحث.